تمهيد:

إن الأزمات الاقتصادية الكبرى والبطالة والأمراض وصعوبة اندماج المجتمع المدني، الفوضى والبليلة الإيديولوجية والدينية وغيرها من الظواهر التي اهتم بطرحها مجموعة من العلماء قصد الكشف عن الإجابات لكن ما تم التوصل إليه كان يفتقد للمعنى الأساسي للظاهرة وهذا لأسباب عديدة من بينها افتراض عدم طرح الأسئلة بالشكل السليم او عدم الأخذ يعين الاعتبار التغيرات التي طرأت على السباقات الخاصة بكل ظاهرة، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين يلقون نظرة انتقاد للطريقة التي ارتكزت على العقل في معرفة الأشياء والمواضيع منذ ثلاث مئة سنة، كتلك النظريات التي جاء بها René Descartes (1637) والتي جعلت باب اكتساب المعرفة مشروطا بتقليص المعطيات وتحليلها إلى ان ظهر الفكر النسقي كتصور يهتم بالشمولية، بالتعقيد وبالشك أدى إلى حدوث ثورة ابستيمولوجية لما فرضته من تحول راديكالي في شكل وطبيعة إدراك الواقع.

1- تعريف المقاربة النسقية:

قد طهرت تعاريف متعددة للمقاربة النسقية تصب كلها في كونها وسيلة سمحت للعلوم بإعطائها تصورا شاملا للظاهرة التي تدرسها او تبحث فيها او في نفس الوقت حلا او فهما للمشاكل أو التعقيدات المتعلقة بالظاهرة ونشاطها، وتصنف المقاربة النسقية لدى البعض على انها عبارة عن نظرية او فعل او إجراء.

لقد اهتم الباحثان **س.جوليي و أ. اوميغي O.Amiguet & C.Juliers** بالمقاربة النسقية في إطار العمل الإجتماعي وعرفاها على "أنها تتعلق بنموذج من الفكر والإجراء الذي يتجاوز كثيرا ميدان العمل الإجتماعي.

يرى **ج.دناديو** و **م.كارسكي G.Donadieu & M.Karsky (2002)** على ان المقاربة النسقية ترتكز على تمثلات جديدة للواقع آخذة بعين الإعتبار عدم الإستقرار، الإنفتاح، التغير، الفوضى، الغموض، التعارض، التناقض، الإبداع...إلخ، كل هذه الخصائص التي تدرك منذ وقت قريب على انها غير علمية، أصبحت وسائل مهمة لفهم تعقيدات الواقع.

لا يمكن تعريف المقاربة النسقيى كعلم أو مادة للتعليم بل كمقارنة تقترح وجهة جديدة حول الواقع وطريقة لفهم المشاكل في تعقيداتها النسقية، ففهم الفرد من خلال هذه المقارنة يتعدى واقعه النفسي الداخلي ليشمل تحليل معطيات السياق المحيطة به والقادرة على إعطاء معنى لما يمر به من احداث بشكل عام، ومن بين التعاريف التي يمكن اقتراحها على المقاربة هي:

يرى **ر.نوبارجي R.Neuberger (66:2002)** في القراءة النسقية على انه "يجب علينا على المستوى النسقي التخلي عن الأسلوب الوصفي الذي يهدف إلى طرح فرضيات، فمن وجهة نظر النسقية المواضيع (أشخاصا او أشياءا) تظهر معزولة إلا بطريقة اصطناعية إنها تفرقة خاطئة، لا يوجد أفراد داخل النسق ليسوا حتى عناصر، لكن مهام محتلة من طرف عناصر "les fonctions occupeés par les éléments"

ويضيف على أن المهمة لا تخص العنصر الذي يمارسها بل هي خاصة بالنسق أو بضرورة النسق للحفاظ على هويته، فممارسة العناصر لمهام مختلفة لا يتم حسب قدرات خاصة بهم ولكن حسب ضرورة النسق كما ان ممارسة المهام هي نتيجة للتفاعل والذي يعتبر بدوره ابتكار، اختراع لجماعة تستجيب بطريقة ديناميكية مميزة لاحداث (كالازمات) تستلزم تحولات modification.

يتعدى **ر.نوبارجي R.Neuberger** في تعريفه للقراءة النسقية ذلك الوصف البسيط للواقع، ليعبر عن تلك الملاحظة الدقيقة لعمليات معقدة كتقاسم المهام وممارستها لضرورات النسق وكذلك مختلف التفاعلات والتغيرات والتحولات ...إلخ.

2- الفكر النسقي:

ظهر الفكر النسقي كتصور يهتم بالشمولية، بالتعقيد وبالشك مما ادى إلى حدوث ثورة ابتسمولوجية Révolution Epistémologique لما فرضه من تحول راديكالي في شكل وطبيعة ادراك الواقع الذي يتغير بتغير مجموعة من السياقات والتي تضفي بدورها معنى الظاهرة، وكانت حتمية تغيير طريقة التفكير والتصور للظواهر امرا حتميا ويقول أبرت إنشتاين Albert Einstein في هذا الصدد "إذا لم نغير في طريقتنا للتفكير، لن نكون قادرين على حل المشاكل التي نخلقها من خلال النماذج الحالية لتفكيرنا"

حاول الفكر النسقي الربط بين اتجاهين من الفكر، اتجاه الفكر التحليلي pensé analytique والذي سيطر لقرون عديدة على العالم الغربي وهو تجسيد للفلسفة الديكارتية العقلانية، والتي قدمت الكثير حول المكونات وخصائص لجزيئات الأشياء متناسية العلاقات التي تربط هذه الجزيئات او العناصر، أما الإتجاه الثاني وهو الفكر الشامل pensé holistique والذي عرف بشكل كبير في العادات والتقاليد الشرقية pensé holistique traditions والذي ينتقل إلى مستوى آخر من المعرفة من خلال رؤية العالم وما يحدث فيه من ظواهر كوحدة شاملة تكتسب معرفتها بواسطة الحدس " وهي عموما مثل الفكرة التي نصنعها عن شخص ما نصادقه، فقبل أن يتكلم لنا صورة شاملة عنه كالقول أنه شخص ودي، وغير ودي.

ويعمل الاتجاه الشامل على تحفيز الحدس والإبداع بهدف فهم الظواهر المأثرة والآنية، ولكن بالرغم من تميز هذا الاتجاه بغنى المعنى Riche de sens إلا انه يفتقد إلى التحديد والإشارة إلى بعض الفروقات بين الظواهر كما هو الحل في الإتجاه التحليلي، فجاء الفكر النسقي pensé systémique ليجمع ما بين الاتجاهين وعليه فالمقاربة النسقية هي واقع علم يربط بين الشامل والتحليلي في نفس الوقت.

II- النسق:

تمهيد:

لقد سبق الذكر على أنه يوجد أنواع كثيرة من الأنساق، لكن الشيء المهم تحديده هو وجود النوع المغلق والنوع المفتوح، فالأنساق المغلقة هي تلك التي تعزل نفسها عن المحيط الخارجي، أما الأنساق المفتوحة هي تلك التي تتميز بالتفاعل والتبادل المستمر مع المحيط الخارجي، ويعتبر ما ينتج من التفاعل عبارة عن مداخيل ومخارج كما يرى **جويل روزناي Joel rosnay** (1975) في هذا الصدد ان المداخيل تنتج عن تأثير المحيط على النسق أما المخارج فهي عكس ذلك، ةأي تأثير النسق على المحيط.

تعتبر الأنساق الإنسانية أنساقا مفتوحة لأنها في اتصال بدون انقطاع وتفاعل وعلاقات متبادلة.

1- تعريف النسق:

- لغة: إن كلمة النسق من الناحية اللغوية، مشتقة من اللغة اللاتينية sustéma وتعني مجموعة منظمة او مجموعة منسجمة.

- اصطلاحا: لمفهوم النسق تعاريف مختلفة تختلف باختلاف مجال الدراسة والاهتمام ولقد تغلغل مفهوم النسق علوما عديدة كعلم الفلك و الرياضيات والفيزياء والكيمياء والصناعة والمجتمعات البشرية..الخ.

اقترح عدد كبير من الباحثين أنماطا مختلفة من الأنساق كالأنساق الفيزيائية، الكيميائية الحية، الإنسانية، الإجتماعية، الطبيعية والأنساق الإصطناعية...إلخ، تصب كلها في الوحدة المعقدة للنسق وفي التفاعل فيما بين عناصر النسق وفي مدى تأثير تغير لعنصر من العناصر على تغيير الكل.

2- تعريف النسق في ظل المقاربة النسقية:

يعتبر مفهوم النسق الحجر الأساسي التي ترتكز عليه المقاربة النسقية، ويعد **ل.ف.برتنفلاي L.VON BERTALANFLY** من أشهر روادها فهو صاحب النظرية العامة للأنساق **la théhorie générale des systémes**، إذ عرف النسق على انه "مركب من العناصر في تفاعل"

وفي نفس السياق جاء في تعريف **جويل روزناي Joel rosney** (1975) على ان "النسق هو مجموعة من عناصر في تفاعل ديناميكي، منتظمة حسب الهدف"

أما **جون لويس لوموان Jean louis lemoigne** (1977) يرى أن النسق هو "ذلك الشيء الذي في محيط ما، يحتوي على اهداف، يمارس نشاط ويبصر بنيته الداخلية وهي تنمو مع مرور الزمن، دون ان يفقد رغم ذلك هويته الفريدة"

يرى **ر.أ.جيبسون R.E.GIBSON** أن النسق "هو جمع مندمج لعناصر في تفاعل معين لتنفيذ وبالتعاون مهمة محددة سابقا".

أما **و.ر.آشبي w.r.ashby** فيرى ان "النسق هو كلائحة من المتغيرات يجب أخذهخا بعين الإعتبار".

مع مرور الوقت طور **ف.برتنفلاي VON BERTALANFLY** والذين خلفوه من بعده مفهوم النسق وتم تعريفه كالآتي"النسق هو مجموعة معينة **REPéRBLE**، مكونة من عتاصر منظمة، مترابطة interdépendants تتفاعل مع بعضها البعض، والتي تبحث في ميحط ما للوصول إلى هدف أو أهداف معينة، واضحة أولا، في تطور وانتاج لنشاط أو انشطة".

ارتكزت المقاربة النسقية على مفاهيم عديدة في طرحها وتصورها الشامل للظواهر والأحداث لفهم وحل وفك تعقيداتها ومن بين هذه المفاهيم مفهوم التفاعلات والعلاقات، ويعتنبر هذين الأخيرين مصطلحين متلازمين لدرجة الترادف عند تعريفهما، وعموما التفاعل هو تلك العلاقة المتبادلة ما بين فردين او اكثر والعكس صحيح بالنسبة للعلاقة والتي يراد بها ذلك التفاعل المتبادل بين الافراد.